

واقعية مرفوضة

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية

قال القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطيه: "لو كنت إلى اليوم أتوخى رضا الناس لما كنت عبداً للمسيح"، وقال في رسالته إلى أهل قولسي: نتكلم لا كمن يرضي الناس بل كمن يرضي الله". أما نحن فنتكلم لنشهد للحق ولنرضي ضمائرنا ولندافع عن وطننا وهويته وفرادته، وعن حق أهلنا في تقرير مصيرهم بحرية والعيش بكرامة وسلام في ظل حكم وطني يختارونه بإرادتهم ويمثل تطلعاتهم وأمانهم ويتحسس آلامهم .

لقد آلينا على أنفسنا أفراداً وقيادات حمل صليب الوطن المعذب عن قناعة وإيمان والسير به بثبات وعزيمة على طريق الجلجلة غير آبهين بحسابات الربح والخسارة. إن نضالنا المقدس وشهادتنا للحق ليسا خياراً وإنما قدراً كتب على كل لبناني يؤمن بعقيدة ال ١٠٤٥٢ كلم مربع وبنعمة الخالق عليه أنه جُبِّلَ من تربة لبنان المقدسة وتنفس من هوائه وفتح عينه على جماله الخلاب. إننا مدركون للعوائق والصعاب وواعون لكافة العواقب المترتبة عل قدرنا هذا، ونحن نمجد الله ليلاً نهاراً لأنه أعم علينا بلبنانيتنا. إن قناعاتنا الوطنية مرتكزة على قدرنا النعمة، وعلى حبنا للبنان الوطن والكيان والهوية، ونابعة من جذورنا المتأصلة في تربته المباركة المجبولة بدماء وعرق آبائنا وأولادنا وأجدادنا.

إننا أبناء لبنان العلم والثقافة، إننا أبناء وطن ال ٦٠٠٠ سنة تاريخ وحضارة الذي علم العالم فن الملاحة وأعطاه الحروف الأبجدية، إننا أحفاد مالك والبشير والبستاني وهنيبعل وزينون وحيرام، إننا أبناء وطن صنعه أجدادنا بسواعدهم على مدار ٦٠٠٠ سنة، صانوه بأرواحهم واستماتوا في الدفاع عنه، فاستحقوه عن جدارة وأورثونا إياه وحملونا المشعل لنسلمه لأولادنا وأحفادنا من بعدنا، والمسيرة بإذن الله ستستمر حتى يوم القيامة.

من هذا المفهوم للبناننا المقدس نقول للذين يطالبونا بالتعامل بواقعية مع الوضع الاحتلالي المفروض على وطننا وأهلنا، نقول كما قال النبي جبران "لكم لبنانكم ولنا لبناننا". إن الواقعية كما يُسوق لها من قبل البعض هي قبول بما هو واقع على وطننا وأهلنا من ذل وظلم وجور وتعديات وانتهاكات، هي إذعان لقوى الشر، وسكوت مطبق على كافة المخططات الهدامة الهادفة إلى اقتلاعنا من أرضنا وتزوير تاريخنا وتدنيس تراثنا وطمس حضارتنا وضرب هويتنا وإغراقنا في غياهب الجهل والتفوق والعبودية، إنها تسويق للقبول بشريعة الغاب.

أما مفهومنا للواقعية المطلوبة من أجل تحرير وطننا وترسيخ إيمان أهلنا والمحافظة على حقوقنا فهي جراءة في الشهادة للحق لتغيير الواقع الاحتلالي وإبداله بواقع يحفظ كرامتنا وعزة وطننا ولنا في التاريخ ألف عبرة وعبرة. فلو قبل السود بواقع عبوديتهم ولم يقاوموا ويقدموا التضحيات الجلل لما كانوا تحرروا، ولو رضخ السيد المسيح للواقع وتكرر لأبيه السماوي لما وجدت المسيحية، ولو خضع الجنرال ديغول للواقع الذي فرضه على بلاده هتلر لما كانت استعادة فرنسا استقلالها.

إن الواقعية بمفهومها اللغوي العلمي لا تتعامل مع الإيمان والشهادة والفداء والآمال والرجاء، إنها وكما يعرفها قاموس وبستر، "سلوك مبني على مواجهة الحقائق وإغفال للعواطف والأحاسيس". إن الواقعية هذه لا وجود لها في القواميس الوطنية كونها مرادفة للخنوع والاستسلام وحسابات الربح والخسارة المادية. إن الحرية نعمة من نعم الله على الإنسان الذي خلقه على صورته وميزه عن غيره من المخلوقات ببصيرة وأحاسيس وعواطف وقدرة على التفاعل والإبداع، ويوم يفقد الإنسان هذه النعم يتجرد من إنسانيته، واللبناني الذي يبزر استسلامه لأطماع قوى الشر التي تفتك بوطنه بالواقعية بمفهومها العلمي يجرد نفسه من لبنانيته ويحرم نفسه من نعمة الله عليه بأنه خلقه من تراب لبنان المقدس.

إن ما يشهده لبنان حالياً من تنازل ميرمج عن السيادة والحريات وقمع واضطهاد وفرض للفكر الواحد المستورد، لن يزيد المؤمنين بديمومة لبنان الـ ١٠٤٥٢ كلم مربع إثباتاً على مواقفهم الوطنية الراضة للأمر الواقع المر في وقت عزت فيه كلمة الحق. إننا نطالب من يطالبنا بالواقعية أن لا يتعامى عن الواقع الذي يزرح تحت وطأته لبنان وأن يهب لتغيير الواقع هذا بدلاً من التفتن في إيجاد المبررات لاستمراره، فلبنان لنا نحن اللبنانيين، وليس لسوانا، وقد آن لليل الطويل، ليل الصمت والخنوع أن ينجلي، إن شوق اللبنانيين إلى الحرية أصبح أكبر، ورفضهم للتعامي صار أقوى، وتطلعهم إلى المستقبل بات أبعد.

عشتم وعاشت الحقيقة